مُهيمِنةُ العَصا والجزَرة في (النقودُ إلهٌ حقود)
سيميوطيقا تنسيج المعنى الشعري

أ.م.د. نجيب الورافي
أستاذ الأدب المشارك – قسم اللغة العربية
– كلية الآداب – جامعة ذمار

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

Al-Yemenia University Journal
مجلة الجامعة اليمنية

مُهيمِنةُ العَصا والجزَرة في (النقودُ إلهٌ حقود)
سيميوطيقا تنسيج المعنى الشعري

أ.م.د. نجيب الورافي
أستاذ الأدب المشارك – قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة ذمار

ملخص البحث

يتناول البحث سيميوطيقا تنسيج مفهوم العالم وفق رؤية نصية شاملة، تتأسس على معادلة للدلالة طرفاها: النقود والبشر، ويختط البحث برنامجا للتحليل، ينطلق من نظام البنى النصية للشعر، بوصفها شبكة علائقية تمثل علامات تركيبية أولية للمعنى. واقتراح خمس بنيات منها، هي: العتبات، نسيج النص، إيقاع النص، البنية البلاغية، التناص. وقد خضع اختيارها لتكون مجالا للنظر السيميوطيقي، استنادا إلى معيار خصوصية الشعر المعاصر، من خلال أحدث أنموذج نصي شعري يمثله. اهتم التحليل بالاستبدالات المحتملة لتحولات المعنى في كل بنية، ثم استنتاج الدلالة العميقة المركبة، ابتداء ببنية هيمنة: (ألوهية المال وعبودية البشر) وانتهاء بالبنيات الدلالية الجزئية التي تولدت عنها، وتضافرت لتثبيت تصور معادلة سلطة المال في دور مهيمِنٍ مطلق، وانصياع العالم في دور مهيمَنٍ عليه بالمطلق، وانسجاما مع فكرة أن النص بمثابة نظام إسناد كلي يخضع لشروط ثقافية وقواعد فنية أدبية، مثلما أن اللغة هي نظام، قام التحليل على أساس بنيوي، وأفضى إلى نتيجة تمثل مفهوم أطروحة العالم في حالة استلاب وجحيم أمام سلطة المال ونفوذ أقطابه.

الكلمات المفتاحية: سيميوطيقا تنسيج تصور العالم، عتبات الهيمنة، نسيج النص، مجاز قلب العالم، التناص.

Abstract

The study aimed to investigate the semiotics of weaving the world concept according to a comprehensive textual vision, based on an equation of signification with two pillars. The first one is money and the second one is humans. The study outlines an analytical framework that starts from the textual structures system of poetry, viewed as a relational network representing primary syntactic signs of meaning. Five structures are proposed for analysis. They are thresholds, text texture, text rhythm, rhetorical structure, and intertextuality. The selection of these structures as areas for semiotic exploration is based on the unique characteristics of contemporary poetry, represented by the latest poetic textual model. The analysis focuses on the potential substitutions for transformations of meaning within each structure, leading to the inference of a deep and complex signification. This begins with a dominant structure (the divinity of money and the slavery of humans), and concludes with the partial semantic structures that arise from it, which converge to affirm the conception of the power equation of money in an absolute dominant role, and the world's submission in a fully dominated role. This aligns with the idea that the text functions as a total attribution system governed by cultural conditions and literary artistic rules, just as language is a system. In conclusion, the analysis is based on a structural approach and results that represents the concept of the world in a state of alienation before the authority of money and the influence of its pillars.

Keywords: Semiotics of weaving the world concept, Thresholds of dominance, Text texture, Metaphor of world inversion, Intertextuality.

المقدمة:

العصا والجزرة تعبير مجازي رمزي، لعله الأنسب في التدليل الكثيف والساخر عن صورة مفهوم العالم في نص (النقود إله حقود) معادل تعبيري سيميائي للمهيمن الدلالي المركزي للنص، يناظر مفهوم مهيمنة المال، بمركزيته السلطوية في الواقع، وقوته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي يتمتع بها لحكم البشر، والسيطرة عليهم، حتى أصبح متعالية مقدسة تمتطي إنسانيتنا الراهنة، في حين أصبحنا مطية دنيا لاهثة، محاصرين بين غواية رغبتنا بالجزرة من الأمام وعَدْونا الخائف من سطوة العصا في الخلف.

ليس الكون كما يبدو في الظاهر، وإنما كما نتأمله ونتعدد ونتباين في رؤيتنا له. ثمة من قال إن الوجود الخارجي بحد ذاته ظاهرة سيميائية "الطبيعة خزان لا متناه من العلامات الطبيعية التي تضاف إلى تلك التي نقوم بإنتاجها بقصد أو من دون قصد"(1)، ومادام الكون يستند واقعيا إلى نظام، فإن له أساسًا نحويًّا يمثله ويستند تمعنيه إلى قواعده، مثله مثل النظام اللغوي، وأن تلك القواعد لا تخترق إلا بحدوث فعل خارق، فالبحر مثلا لا تجده في الأعلى على قمة جبل، والأسماك لا تولد وتنمو في الفضاء الجوي، والجبل لا يتسنى لبشر اقتلاعه من مكانه وتحميله على ظهر إنسان أو دابة، لكن ثمة من قال إن كائنا فعل ذلك!

الشعر ربيب الأسطورة، ولقد مهدت لنا الأساطير، وما يماثلها من خطابات، لنتوسع في رؤية ظاهرة الكون وعلاقة الأشياء والكائنات عكس مما هي عليه، فنقول أحيانا على النقيض مما نكون نحن ومن حولنا، فكانت ـأي الأساطيرـ الطريق الأولى للشعر، ونقطة البدء في تخييل الذوات والعوالم، ليتسنى بعدها أن نقول عنها ما يحلو لنا ويقنع ويؤثر، انطلاقا من ذلك التخييل.

ولأننا بلغة الشعر قد نُعرِّف أنفسنا وما حولنا بما يشبهنا أو بما لا يشبهنا إلا في حدود معينة، فلا عجب أن يأتي شاعر ليقول إنه حمل البحر في صرة، أو نسجه فستانا لقلب حبيبته، وليأتي أديب آخر ويستغل مسار التحول العلمي الكوني، فيسرد لنا قصة أو رواية عن تربية الأسماك في حوض خارج فضائي سيار، لقد كانت خاصية الشعر، بما لها من سند التخييل والمجاز والرمز، استدلالات هامة لمقبولية معنى الذوات والوقائع والقيم والحقائق، فعبرها يمكننا أن نقيم منظور الماهيات بين الموجودات، المبرر الأكبر لحقيقة ما يراد ومعناه. في الأسطورة والشعر، لا فصل بين الماهيات، فالكون وموجوداته في سيرورة تحول وكذلك معانيه، ومثلما حدثتنا الأساطير والملاحم القديمة عن بشر آلهة، بعضهم فشل في أن يتمتع بمثاليتها (مزايا الإله الإيجابي)، فهبط من عرشها إلى قاع البؤس والشقاء. يضعنا نص (النقود إله حقود)، أمام صعود نجم (الإله السلبي) (2)، وفي المقابل يضع كبوتنا، بشر هذا العصر، في مصاف العاجزين عن مقاومة نزعته المادية، والسقوط في قاع عبوديته حتى ارتقى، أي المال، من وضعيته الدنيا إلى مصاف إله شرير يحكمنا ويمارس سلطة نفوذه علينا.

النقود بمثابة سلطة تحكم العالم، هو المهيمن النصي الكلي، وسيميوطيقا تنسيج معناه، هي نحوية نظامه القابل للتمعني في ظل خصوصيات شعريته المشار إليها، وتحليل تلك النحوية، ينطلق من اعتباره نسيجا من إسنادات، بعضها نصي وآخر لساني، وبتضافرها جميعا تمثل مسارا لانتقالات المعنى وتحولاته بين البنيات الفاعلة. تتحول النقود من ذات جماد إلى إله مصطنع، ثم إلى سلسلة بنيات هيمنة، في حين يتحول العالم في المقابل من ذات إنسانيته إلى كائن أدنى منصاع لسلطة المال.

(1) تفكرات سيميائية: 60.

(2) المقاربة لا تعني التطابق في الوعي بين عالم الأساطير، زمانا ومكانا وبين عالمنا فثمة سياقات تاريخية وثقافية وأيديولوجية فاصلة وإنما كانت المقاربة لإيضاح المماثلة بين الشعر والأسطورة لا غير.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

يتنوع نظام التنسيج بين مركبات علاماتية: عبر نصية، هي العتبات، وأيقونية كفضاء النص، ونحو نصية، كمتوالية الجمل، ثم صوتية، ويمثلها إيقاع الشعر، وعبر لسانية ويمثلها التناص. إن استعمال سيميوطيقا هو الأولى هنا، كونه الأجدر في تمثيل النظام العلاماتي النصي في إطار نوع الشعر، وفي التنسيج البنيوي لعلاقاته الإسنادية الدالة، وهو ما اختطه هذا البحث منهجا إجرائيا للعرض والتحليل، دون إغفال الاستفادة من طرائق أخرى، لاسيما تلك التي نحت منحى سيميوطيقيا في النظر والتحليل.

سيميوطيقا تنسيج هيمنة المال العالم

تقف صورة تنسيج البنى الفاعلة في تمثيل معنى شيء وجودي أو حدث أو مفهوم فلسفي وعاطفي إنساني في مقدمة العلامات المركزية لنص ما، أدبيا كان أم عاديا، شعرا أم نثرا، وهو ما وضعه سوسور تعريفا للإشارة اللغوية عموما، وفي حدها الأدنى، من أنها بمثابة ربط بين المفاهيم/الأفكار والصور الصوتية ببعدها السايكولوجي، أي من حيث الانطباع أو الأثر الذي تتركه في الحواس (1). إننا في ذلك التنسيج، نحاول وضع تعريف لما هو كائن في الواقع، أو نعيد صياغة مفهوم ما هو قائم والتناغم مع حقيقته الكونية والمجتمعية والايديولوجية، أو نسعى لقلب ذلك المفهوم، فنحاول وضع معادلات مختلفة لحقيقته، ووفقا لتصور مختلف بعكس مما هو في الواقع.

صورة التنسيج تلك، هي ما يمكن أن يسمى (علاماتية) عامة مركبة، تمثل ذلك المفهوم وتشكل تعبيرا تمثيلا دلاليا على موضوعة وجودية إنسانية يقصدها النص، ويحمل اختيارها انموذجا تمثيليا لغويا لمظاهرها وأسبابها وموقف الإنسان منها، سلبا أو إيجابا. هذا السلب والإيجاب، النفي والاثبات، يتقاطع مع منظور النص أو يقاطعه ويخضع في النهاية لتمثيل علاماتي نصي أكبر، يمثله الخطاب والنص، أو لغوي أصغر تمثله الجملة (2).

في التمثيل السيميائي، تنتقل الأشياء والأحداث والقيم والذوات والمواجيد والنظم من واقع علاماتي خارجي إلى مفاهيم عن طريق اللغة، إن كنا نُعبِّر بالكلام، وهي أولى مراحل الاستبدال، بحيث يتم إخضاع العالم لشروط عالم النص والقوانين والقواعد الخاصة باللغة المعبر بواسطتها. فبما أن فكرة الربط الأحادي بين عنصر فكرة وعنصر صوت والجمع بينهما، هي بمثابة قاعدة أولية للنظام اللغوي، فلا بد أن تعقبها قاعدة أوسع تشمل النظام الكلي بالبدء من الكل المترابط والتوصل إلى تحليل عناصره (3). وهنا يعد مفهوم أطروحة الوجود برمته معادلا نظيريا لأطروحة المثال اللغوي التعبيري، وذلك في المستوى السطحي، أما المستوى العميق فيتمثل في مظاهر التحريف التي تتيحها اللغة بخاصيتها المجازية والرمزية، ثم قواعد (تنصيص مضمون العالم) الذي يتمثل بجملة من البنيات المركزية الدالة، وما قد يطرأ عليها ويحكم العلاقة بينها من تحريف أيضا.

التنسيج معناه وجود علاقة ترابطية، وهي أساس التمعني لأن "أشياء العالم غير قابلة للتعرف في ذاتها، لكن بخواصها فقط.. والعلاقة هي التي تؤسس الخواص"(4)، ويحدث عبر نحوية خاصة، تتأسس وفق قواعد للتدليل، بعضها عرفي ثقافي والآخر لغوي أسلوبي، مشتق من قواعد النحو التقليدي، وتحتمل علاقات إسنادية تحويلية متعارف عليها تؤسس لما يعرف سيميائيا بـ (الهيمنة) الذي يعني "تعيين العلاقة الأفعالية (فعل الفعل) التي حسبها ملفوظ فعل يعمل على انبثاق ملفوظ للفعل آخر"(5).

(1) علم اللغة العام. فرديناند دي سوسور: 84، 85.
(2) يتفق عمل منظور البحث مع مسار التحول في الدرس السيميائي من مستوى البنية اللسانية الجزئية إلى البنية المركبة للنص والخطاب، أي بوصفها نظاما علاماتيا شاملا من الاختلاف والبحث في كيفية إنتاج معناه في ظل علاقات توحد وحداته المختلفة، في ما يعرف بسيميائية النص أو بالسيميائية النصية. ينظر: تفكرات سيميائية. آليات إنتاج المعنى: 269.
(3) علم اللغة العام: 133.
(4) المنهج السيميائي. ا.ج. غريماس، ج. كورتيس وآخرون: 10.
(5) نفسه:206.

في سيميوطيقا النص الشعري، وهو ما نحن بصدده هنا، يتوقف اختيار الشكل العلاماتي لتصور العالم على جملة من الأسس، أهمها البنية الثقافية المعرفية، بصفتها مدخلا تفصح عنه خصوصية البنى النصية واللغوية، لا أن ينظر إليه من خارجها، وتشمل هذه البنية النوع الشعري والمذهب الفني، العتبات، التناص، ثم تلي ذلك بنية المجاز والرمز وأساليب التعبير، كالتعبير بالقناع والحكاية والحوار أو بالوصف التقريري المباشر، وهي، حسب سوسور، مركبات علاماتية محمولة على نفي الاعتباطية في التدليل، إذ ترتبط دلالتها بشروط ثقافية وتاريخية خاصة (1).

إننا في الشعر نستبدل العالم بالمفهوم عنه من خلال اللغة، ننسج التعبير عن حقائقه، بحيث نحصل على مضمون لأطروحته المُقصَّدة وفق رؤيتنا الجديدة له. يمر هذا التقصيد في تشكلين بنائيين: نصي وأسلوبي، النصي تمثله نحوية البناء المتعارف عليها في تمثيل النصوص للمضامين والمفاهيم، أي ما يجعل من الكلام مركبا عاما ذا مضامين قارة ومتحولة معا، وأول مظاهرها، اعتبار النص بمثابة متوالية أسلوبية، واستعمال الروابط المتعارف عليها للحصول على البناء العام، إنه إسناد أكبر، في حين يمثل الإسناد اللغوي في الجملة إسنادا أصغر (2).

يتم النظر السيميوطيقي إلى العالم نصيا بتتبع مظاهر تحريفه، وباستقراء ما أسهمت فيه البنى المركزية واللغوية من تمثيل لصورته المحرفة، وقد يحدث ذلك التحريف على مستوى تركيب النص أو الجملة اللغوية، إذ تحتشد بنى النص، بصفتها علامة مركبة، ومثلها بنى الأسلوب، وما يتخلل مركب المستويين من علاقات، ابتداء من العنوان وانتهاء بالنص (3).

إننا، إذ نبحث في إنتاج الدلالة النصية، فذلك يعني النظر إليها "في مستويين للنص: المستوى السطحي الذي يتألف من مكونين (السردي والخطابي) والمستوى العميق الذي يتألف من شبكة علاقات تقوم على تصنيف قيم المعنى.. ومنظومة عمليات تنظم الانتقال من قيمة إلى أخرى"(4). ومن ثم فإن سيميوطيقا تنسيج المعنى، بمثابة نظام نحوي يستند إلى شبكة العلاقات الدلالية للمركب العلاماتي الأكبر، النص ظاهرا مكتملا، بحيث تسفر تلك العلاقات عن فعل دلالي يمثل تصور العالم المنصاع لإرادة المال، وتتشكل هذه الرؤية، عبر علاقات نسقية، تمثلها على مستوى السطح، في حين تتمثل على مستوى العمق إحداث فعل يستهدف تغيير الوجود الراهن.

عتبات آلهة وأقنان:

النقود بمعناها الحرفي المصرفي، عملة تداولية، معادل رمزي تبادلي لقيم كمية سلعية مختلفة، "الرمز هو علامة عرفية.. وكل كلمة وكل علامة اتفاقية هي رمز"(5)، ومن ثم يتحول هذا المفهوم الطبعي السائد للنقود بعملية استبدال في مركب الإسناد (إله)، ليحل مفهوم الألوهية، وما وقر عنه في الوعي من دلالة اعتلاء واستعلاء، وما يتوجب نحوه من طاعة مفترضة وعبودية لازمة، واستعباد مفروض، لكن هذا المفهوم الواقعي المثالي سرعان ما يتم استبداله وتتحول دلالته إلى النقيض من ذلك، فالنعت يمثل حالة استبدال تراتبية عما سبقه، فانتقل بواسطته مأثورا الرحمة والتسامح عن (الإله) إلى مجرد صنم حقود مغروس في أعماق البشر يحرك في النفوس الضغائن والشرور، يتحول إلى محرك نزاعي للقتل

(2) علم اللغة العام: 78.

(3) النصي يتناوله نحو النص وتنظمه قوانينه، ويمكن اعتماده هنا طبقا للقياس على تعميم جومسكي في تحليله لنظام القواعد، بصفته تحويليا توليديا، وجزم فيه أنه يمكن اعتماد هذا النظام في دراسة مسائل خاصة مثل تحليل قولات معينة وتركيبها. ينظر: البنى النحوية. نوم جومسكي: 66.

(4) لا تنحصر بنى المعنى على ما له خاصية شعرية، بل يتجاوز إجراء التحليل هنا ما هو لساني من البنى إلى ما يصنف بعلاقات عبر لسانية كمتعاليتي العتبات والتناص.

(5) تفكرات سيميائية: 273.

(6) السيميائيات أو نظرية العلامات: 110.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

والاستعباد، وليصبح البشر محكومين له بالولاء والطاعة. يقوم المعادل الدلالي للنص، بحسب العنوان، على افتراض رؤية بديلة لمعنى الإله والواقع كالاتي: الرؤية المسبقة: الله هو الإله، افتراض العالم يدين بطاعته، الافتراض البديل: النقود هي الإله، وافتراض العالم في حالة طاعة وخضوع. النتيجة: غربة وغياب قيمي واستلاب أخلاقي.

لقد أدى الاستبدال على مستوى تركيب العنوان إلى تحريف مفهوم الإله، كما صار في وعي العالم، وإعادة صياغته على أساس أن المال إله ذو ربوبية منحرفة وشاذة عن سائر آلهة الإنسان. وقد يوهم ذلك أنه يمثل الغاية، غير أن الأمر ليس كذلك، فالمستهدف بعملية التحريف هو النقود وحالة الإله نتيجة مترتبة عليها، وكلاهما يصب في استهداف الانحراف القيمي والأخلاقي للبشر، حين أصبحت المادة طغيانا أعمى، وربَا يزج بعبيده الطائعين في أتون شرورهم وحروبهم واستعباد بعضهم لبعض. ومادام الإله بيده المُلك كله فإن تقمص النقود لهذا الدور والوظيفة يجعل واقع البنكنوت المتعارف عليه، في أنه وسيلة لا غاية، ينحرف ويتحول من مملوك إلى مالك ويتحول مالكوه إلى مملوكين وأشباه أقنان لبريقه وزواحف بائسة في دهاليز خزائنه متهالكين بالجشع، صرعى حول اسوار مملكته الطاغية.

تتجلى سيميوطيقا العنوان، ابتداء من الإسناد الاسمي، ومن العلاقة الواصفة بين ملفوظي المنعوت (إله) والنعت (حقود)، لينتهي إلى الدلالة الأساس، وهي التلويح بانقلاب مفهوم الآدمية إلى مسخ رجيم، والفلوس هي الشيطان الصانع لذلك المسخ، القاهر للإنسانية القامع لتوازنها النفسي والقيمي، بعد أن سلكوا بحر غواية المال المتلاطم بلا انتهاء. يتبعه إسناد على مستوى أكبر يشمل العلاقة بين العنوان-النص. نفترض أن العنوان مسند إليه والنص في حكم المسند، يتكرر لفظ العنوان لتفتتح به جمل النص، وفي نسقها الإسنادي تتحد علاقة الشيء وضده، في تجل لتصور ما هو نافع أنه ضار، وما هو إيجابي أنه سلبي، وما هو مألوف أنه في حكم الناشز.

ـ النقودُ إلهٌ حقودٌ

ـ النقودُ وقودُ الشَّياطين

ـ النقود سيول على كوكب الأرض

تحرق بستنة اليابسة

ـ النقود دم ومهود (1)

إن دلالة الانحراف المتجلية في الدال التركيبي المقتضب للعنوان تسري على النص برمته وتتحول إلى هندسة نصية متسلسلة لاحقة لحقائقه المتجسدة في بنية المتن. تلك الحقائق تمثل بمجموعها سيرة وافية مكتملة للنقود، عكس ما هو مألوف وسائد عنها، ومثلما جسدت التقابلات في العنوان (النقود إله) – (الإله حقود) دلالة غير متطابقة ظاهرا، وفي العمق تجسد حقائق واقعية ومقبولة، نجد مقابلها الضمني (النقود وسيلة) (الإله سموح رحيم).

هذا التقابل يسري على البنية اللغوية للنص، ليستهدف أغوار النفس، يستقصي انحرافها هي تحديدا، أما النقود فملفوظ سطحي، في أعماقه تتخفى حقيقة السقوط وواقع التهافت. في العنوان تتداخل الماهيات، المعبر عنها في ملفوظه، وأبرزها ملفوظ النقود. تشير دلالة هذا الملفوظ إلى كائن جماد، لكنها تتعارض مع دلالة ما أسند إليه. تعْبُر النقود ماهيتها، وتغادر مفهومها في العرفين الاجتماعي والاقتصادي، إلى موقع الألوهية التي تشير إلى دلالة الاستعلاء والاستعباد والمُلك والقوة والنفوذ، في حين يتحول معنى الإله من تصوره رحيما نافعا إلى كائن غُفْل حاقد، ذي سلطة انتقامية هَدميَّة لكل ما هو قيمي وأخلاقي. يتوقف مفهوم الإله في كل دين على تصور الدائنين له المؤمنين به. ووفقا لهذا الإيمان تتشكل شخصيات

(1) معلقات على جدار الشجن: 5، 6، 7.

تابعيه ويبلغ هذا التشكل درجة الدمج، فتتحول سلطة الألوهية إلى سلطة نافذة للبشر، بها يُغطّون وجه العالم ويسودون فيستغلون ويبيدون.

النقود احتكار الحياة
النقود دواة السيوف
النقود إطار الظروف
مساءا هي الصبح في أعين المرجفين
ولون يزخرف حقدا دفين
لها انكسرت شوكة الآدمية
وانهمرت مقلة الأعين الحابسة (1)

من واقع الطبيعة التداولية للنقود ووظيفتها التبادلية، يستمد النص فكرة الحركة الدائرة بين أطراف الثلاثي المادي، الذي يحكم العالم، ويتبادل الأدوار والوظائف ليصنع فوضى توحشه، يبدو تحطيم حدود الجنس، أو الماهيات بين كائن النقود وكائن الإله وكائن الإنسان سهلا وغير مستحيل، يطلق الإنسان المال ليتألّه، وفي المقابل يمنحه المال سلطته وسطوته التي لا تنازع، سلطات كل منها طيعة بيد الأخرى.

وما دام المال قد غدا هذه السلطات، فمن أفتى وحكم بهذا؟ ومن كان له الحق في تشخيص كهذا، فقال ما قال؟ هل ثمة سلطة مضمرة رقيبة؟ ما هي تلك السلطة؟ ولماذا رأت واعتقدت ما لا نرى ونعتقد؟ لعل بحث الجواب هنا لن يخرجنا عن النهج البنيوي في التحليل لنستكشف في نسق عتباتي آخر تلك السلطة، إنها سلطة المؤلف الراوي، وهنا نقصد به بنية دالة استدلالية تتشابك مع غيرها، لتدلل على حقائق، لا بوصفه في مقام قطب خارجي.

لن ننظر في سيميوطيقا بنية المؤلف، بصفة دلالتها الرسمية المباشرة "الشاعر" بمعزل عن مقابلتها بنية الراوي، فمن المجازفة تصور راو، كون الخطاب شعرا خالصا ولا ينم عن تقنيات استضافة أجناس أدبية أخرى، كالحكاية والقناع، إذ إن صنف النص هو إحدى الشيفرات الهامة، لكن النزوع للتصنيف محفوف بإشكال التداخلات الأجناسية المحتملة، من عدمها بين نصوص الصنف الواحد كالشعر(2)، ومع مباينة نص (النقود إله حقود) لكثير من نصوص الشعر العربي المعاصر ذات المنحى الأسلوبي السردي، فثمة ما يُوحده بها، وهو التخييل، إلا أنا سنكون مجازفين أكثر، لو اعتبرنا الحقائق التي تضمنها تعني المؤلف شخصيا، وأن مقامه أحادي ومباشر.

إن اعتبارا من هذا القبيل يخلخل صَوابيَّة تلك الحقائق، ويضائل الثقة بها وبلوغها المستوى المطلوب للإقناع، لا بد لراوي النص أن يجعلنا نعتقد معه بأنها تمثلنا كما تمثله وتشخص وجودنا المختل في ظل الوهية المال وطغيان راس المال، فننظر معا نحن وهو إلى مراكز القوى المتحكمة بالمال، ابتداء من الفرد، وانتهاء بأقطاب كبرى، كالشركات والدوائر والدول ومحاور التحالفات الإقليمية والدولية، وكل ذلك يستدل عليه من واقع بنية النص ذاتها في مستوياتها الكبرى والصغرى.

ثمة راوٍ ضمني، تم استبداله بالمؤلف الحقيقي الشاعر، وهو من يقول لنا تلك الحقائق، بمثابة معادل موضوعي، لذات المؤلف الذي يقف في الحياد، ففي " تأليفه لعمله الأدبي ينتج المؤلف الحقيقي انعكاسا أدبيا لذاته أي أناه الثانية، مؤلفا ضمنيا أو مجردا"(3)، وهو ما يمكن إثباته بمعطيات بنية النص، فلا

(1) معلقات على جدار الشجن: 8.
(2) أسس السيميائية: 267.
(3) المنهج السيميائي: 121.

ضمير يحيل على أنا فردية (ضمير المتكلم)، ولا حتى على ذات جمعية، إذ كشفت سلسلة الجمل عن جملة من الحقائق، هي أشبه بمسلمات لا تقبل الشك. توصيف لحالة العالم في ظل ألوهية المال، في حين تقف الذات في الحياد تماما، كأنما تفتح الباب لمن شاء أن يصبح راويا، وأن سلسلة الحقائق المتوارة يمكن أن تمثله.

هكذا يبدو الخطاب في قطيعة صوتية مع الراوي على مستوى الظاهر، لكنه في العمق ليس كذلك، فما ورد من حقائق معلنة، هي في الأساس تمثل دلالات مضمرة تنتمي إلى الراوي، وبمقتضى هذا الانتماء تمثل المؤلف الشاعر، وليست بريئة من اعتقاداته الأيديولوجية والسياسية (1) ما يجعل الآخرين في حالة صدام معها أو في توافق، أي أنها قد تتنافى مع اعتقادات أخرى مضادة قابلة للدحض بل والرفض، وقد تتقاطع فتحظى بالقبول والتصديق لدى آخرين.

تتسلسل حقائق الغول المادي في هيئة بنية كلية مركبة هي البنية البصرية، ويتم الإسناد البصري تبعا لشروط الرؤية على التناوب بين البياض والكتابة، مركب علاماتي بصري يفصح عن دلالة متعارف عليها ثقافيا، بنظام النص البصري، ويستهدف إقامة نظام نصي مقطعي وغاية استعمالية تدوينية، تكفل تثبيت النظام اللغوي الدلالي على المستويين الكلي والجزئي "التركيب مزج ذو ترتيب بين دالات متفاعلة، وهو يشكل كلا ذا معنى في نص.. تتم ضروب المزج هذه في إطار القواعد والاصطلاحات الظاهرة والمستترة، وعلى سبيل المثال الجملة في اللغة تركيب من كلمات وكذلك المقاطع والفصول"(2). أيضا تتغيا هذه البنية مسايرة السائد في نشر نصوص الشعر المعاصر، فالتقسيم إلى مقاطع ذات علاقة تراتبية ظاهرة شائعة في التدوين الحديث، معظمها يخضع لإرادة المؤلف ونواياه المسبقة، كل علامة، أيا كان نوعها، تستهدف بناء مقصد ما وتحدث فعلا وجوديا محددا.

ينظر إلى محور التوزيع في بناء المركب النصي الكلي وفق علاقتي التراتب التسلسلي والتقابل، الأولى أن كل مقطع سابق يبنى عليه مقطع لاحق وينتج عنه دلالة مقطعية كلية، في حين أن العلاقة الثانية تتم، كما سبق، بناء على التقابل بين ضدي بياض الصفحة وسواد الكتابة، فهل يعني ذلك بناء دلالة تنسجم مع الدلالة المركبة الأكبر، النص؟

إذا ما نظرنا إلى طبيعة المقابلين هنا، فإننا نجده يتأسس على الحيز أو المساحة، ثم على اللون (سواد، بياض)، وأنه يحدث في معظم نصوص الشعر المعاصر، فلا يخرج عن هذه الدلالة الإصطلاحية المباشرة. إذا فكيف سنجد لهذه العلاقة تدليلا خاصا وجديدا؟ هل نستطيع العثور على مبرر مختلف واستثنائي لهذا النص ذي المضمون القيمي الإشكالي عن نص عاطفي غزلي لشاعر كنزار مثلا أو غيره؟

نصوص الشعر المعاصر، جميعها يعتمد نظام النحو البصري المقطعي ذاته! ولعله عند هذا الحد تقف البنية الخارجية، فأين عمقه الدلالي؟ تمنحنا الرؤية السيميوطيقية دور الوسيط للتحليق خارج حدود هذا التمعني العام المباشر لكل نص وربط الدال البصري هنا بسياق مخصوص يمثل النص الذي بين أيدينا (3). لنتفقد معه تاريخ جدلية الصراع بين إنسانية بيضاء، مثلت امتلاء نقيا، وإنسانية أخرى ابتليت بعثرات الحقب، حالكة الملامح، وهنا نسأل هل كان ثمة بشر بلا مال ولا نقود في يوم من الأيام؟ وهل ملكية النقود كانت نقطة البداية في امتلاك كل شيء بما في ذلك رقاب البشر.

تبدو الأشياء هي مظهر وعي الإنسان الملتحم بوجوده، وهما معا (الإنسان- الوجود) كانا في البدء أشبه بوجهي قطعة السديم الواحدة، ويبدو تعاطي الإنسان المبكر للأشياء عملية تلقائية صرفه قبل أن يعبر الى

(1) يرى جريماس أن رؤيا العالم لاسيما في الرواية، قد لا تخلو من تناقضات بين المؤلفين: الملموس والمجرد. ينظر المنهج السيميائي: 123.
(2) أسس السيميائية 154.
(3) يتوافق ذلك مع ما تبناه بيرس وجاكوبسون من دور السياق في التأويل ينظر: أسس السيميائية: 78،

آدميته، ويبدأ رحلة الفصل بين ذاته وبين ما حوله. "السيميائيات هي في المقام الأول سيرورة لتحويل العالم من الحالة السديمية والأحادية وانعدام الشكل إلى ما يحدد الأشكال المختلفة للإدراك"(1)، يشبه ذلك شاشة السينما البيضاء المضيئة قبل العرض، حين تمنحنا الاحساس الجذاب بالعودة إلى ما قبل النطق، مرحلة التَمرِّي، حيث تشييد الأنا(2)، تلك الحقبة البيضاء هي الإطار الوجودي الأول غير المشحون بسعار المادة وقبل أن تنطلق في أعماق الإنسان رغبات الشرور والآثام للدفاع عما صار إليه ملكية خاصة، إنها صفحة البياض غير الملطخة بأنانيته، في حين سطور الكتابة تمثل مراحل وعيه الصراعي، في سبيل حيازة الأشياء، ودليلا ناطقا بتاريخ تغوله الطويل منذ آدم المطرود من الجنة مغويا بنزغ شيطان الرغبة وامتلاك الأشياء.

النقود بياضٌ ملطخة بالملوك

فمن عبأ الوهم من قرطسه؟!

قاموس جيب الملوك

مملكة لا أساس لها

سورةٌ في كتاب الملوك (3)

تهيمن الألوهية الطاعنة في الاستحواذ لتبدو سلطة احتكار العالم قبض يدها. هيمنة كان لا بد أن يعكسها النص ويقيم من منظورها سلسلة بناه وخلف كل بنية ينبش حقيقة العالم، كما يراها، لا كما يتوهم الناس رؤية نقيضها. من منظور النص تبدو النقود بمثابة قنبلة نووية دائمة الانفجار، ومن ثم الانشطار المريع لفساد وإفساد وما لا يحصى من كوارث وويلات تحيق بالبشر، إذ تمتد سلسلة الملكية منذ نزغ الشيطان لإنسان الممالك الأولى، عصر الذهب إلى عصر الذهب الأسود الآن.

النقود سيول على كوكب الأرض تحرق بستنة اليابسة (4)

تحولت النقود بصفتها التمثيلية للثروة ولرأس المال وبرمزيتها التداولية التبادلية، كونها بديلا ناجحا لنظام التقايض السلعي إلى قوة عظمى تستهلك الإنسانية وتدمر منظومتها القيمية والأخلاقية. إنها صياغة مفهمة جديدة لعالم غارق في تغول إله المال الذي يحكم العالم ويتحكم بحركته وعلاقاته على مستوى الأفراد والدول.

نسيج صومعة الراعي ونطاح القطيع:

في هذا الموضع يجري تنسيج رؤية العالم، أي تحول الملفوظ الذي يمثل ذلك إلى وحدة قاعدية للمعنى هي النص، في حين ينظر إلى نسيج تلك الوحدة من الناحية العملية، بأنها كل التنظيم الشكلاني للنص الذي يضمن استمراره الدلالي والتناظري (5). إن علامة حلول ملفوظ النقود مقام الابتداء، وتصدرها للكلام معناه: تمثيل تصور دلالي طبقي فوقي يحيل إلى رتبة اعتلاء الاشياء في الواقع. يقع اختيار النقود ضمن زاوية نظر تنطلق من وظيفتها الاستحواذية المهيمنة الماثلة في واقع الناس، فجرى تمثيلها نصيا بما يتطابق مع ذلك الاستحواذ وتلك الهيمنة، ولعل ذلك قد تم على صعيد رؤية تشكيل النص النظيرة لحقائق العالم الخارجي، في حين يجري تحريفها على صعيد المعنى دون فصل قط بين الرؤيتين. وهو ما كان باستعمال ملفوظ النقود، بصفة معادل لانهيار قيمي وسقوط أخلاقي يسود العالم. النقود ملفوظ

(1) السيميائيات . سعيد بنكراد :47.
(2) أسس السيميائية: 320.
(3) معلقات على جدار الشجن: 13.
(4) نفسه: 8.
(5) عناصر لتحليل الخطاب. جورج إليا صرفاتي: 48.

مركزي جرت بنينته عبر استبدال استعاري وفقا لما لم يألفه الناس وتشكلت تلك السيادة الطاغية ابتداء من الألوهية الحقودة في العنوان، وانتهاء بأصغر شياطين الثراء الفاجر فيه. من هذا التشكيل وإليه تولد وتنتهي سلسلة بنى المعنى الصغرى عبر استبدالات كلامية تمتد على مفاصل النص.

النقود وقود

النقود ...الخ

الدلالة النسقية الأخرى للابتداء تتمثل في رؤية العالم يسور دائريا بين نقطة بدء تمثلها النقود، بصفتها الألوهية المفترضة، ونقطة ختام تمثل النتائج المترتبة على تلك الألوهية، وملخصها مآل العالم في حالة خراب وجحيم، كأن النقود إله تساوي هدم العالم وتدمير منظومته القيمية والأخلاقية.

الدلالة النسقية الثالثة، وهي نتاج للعلاقة بين غلبة الاسمية وضآلة الفعل في بناء النص، ومؤدى هذه العلاقة هي وضع العالم في حالة خدر حد الغيبوبة. العالم ساكن لا يتحرك إلا بمقتضى حركة النقود، وهي الكائن الاستثنائي المسند إليه فعل الحركة، هي الإله الحي والعالم كائنات مسلوبة تتجه باتجاه حركة رياحه الجائرة.

النقود تهندس دائرة الجور في علبة الهندسة

وتسوس

تسوس

كما تشتهي العملة السائسة (1)

يتركب النسيج الإشاري النصي في سياق بنيوي تلقائي ينسجم مع الدلالة النسقية الرابعة، فيتم الإسناد بالضم التراتبي للجمل المتعاقبة، دون استعمال الروابط اللغوية المعروفة، كحروف العطف وسواها، وكأن هذا النظام الخاص في تركيب النص يشير إلى دلالة عامة مركزية، مؤداها اعتلاء المال لرتبة الألوهية المهيمنة، وتحولها إلى سلطة لتفكيك العالم وتصوير إنسانه قطيعا مطيعا، يضم إلى بعضه ويتآلف مع منطق الطغيان والاستغلال، قطيع بلا إرادة، منصاع لإرادة عليا خاضع لقراراتها. تتكرر إشارة النقود أعلى كل مقطع، ويليها في الأدنى جمل تجسد حركة ذلك القطيع المسلوب.

النقود

حذاء الرياح

طلاء الهوادج

رؤى لن ترى

سراج اليقين المسيج بالشك

فلسفة الجهلاء

طحين النهارات

كانت وتبقى هي المهجة الدامسة (2)

فضلا عما يشير إليه هذا النظام النصي المخصوص، من رؤية طبقية تصنف العالم إلى أعلى وأدنى، غني مترف، وفقير معدم، غالب ومغلوب، فإن فقدان الروابط أو الإسناد وفق روابط مضمرة، يشير أيضا إلى دلالة ما للمال، حين يصبح غاية، من أثر سلبي مدمر للعلاقات الاجتماعية والوشائج الإنسانية.

النقود فضاء ملغم

أرومة في ذراع الرياح

(1) معلقات على جدار الشجن: 6.
(2) معلقات على جدار الشجن:11.

حياة ملفقة
عقرب في الجيوب
دم الصخر
مملكة لا حدود لها
سورة في كتاب الملوك (1)

فكما تسجل حالة التشكيل هذه تحولا بنائيا استبداليا من نظام الرابط المتعارف عليه في بناء النصوص، فإنها تضعنا أمام معادل دلالي متحول عنها ومتطابق معها، وهو تفكك العالم وفقدانه التماسك والتآخي والتعايش.

النقود تباعد بين الورى
وتذيق العيون السهاد
وتلغي الكرى
والنقود اخضرار الثرى
والركام المكدس
من كدسه؟ (2)

إيقاع الجزرة ولهاث العالم:

ينسجم نظام البناء العروضي لقصيدة (النقود إله حقود) مع حالة التحول الثقافي المعرفي للشعر المعاصر، هذا الانسجام يمثل شكلا علاماتيا صوتيا يجسد تلك الحالة، إذ يتم من خلاله استبدال بعض الظواهر الإيقاعية بقصيدة الشطرين المألوفة، في حين تقوم البنية الصوتية الكلية، على التفعيلة، لتحل مقام البحر، وليحل السطر محل البيت، بعد هدم شطريه، ويتناسب التسلسل الإيقاعي السطري مع سلسلة الحقائق الواردة بتداع سريع، وكان لا بد أن يمثل سرعته هذه ايقاع (فاعلن)، أما الوقفات المتكررة أو الغالبة نهاية كل سطر، فتتناغم مع الاستقلال الموضعي للمضامين الممثلة بكل سطر، إذ تحقق الوقفة نظام قطع ليبدو السطر جملة مستقلة والجملة حقيقة من حقائق تغول المال، والعالم الصريع حوله. فهل يمثل ذلك تناقضا إضافيا للنص، يعكس وحدة العالم وتفككه في آن معا؟ أنا العالم وانا دماره وخرابه. وقفات السطور كثيرا ما حققتها القافية ورويها السين، وهي ضاجة، بلغ بعضها حد الكلفة والتكلف فجنى على استقامة المعنى.

أطال التشهد في الركعة السادسة
النقود طريق تخيف ومفترسة
النقود وقوف الحداد على الجثة الجالسة
النقود تباعد بين الورى
وتذيق العيون السهاد
وتلغي الكرى
ومهر تضيع على الفارسة (3)

(1) نفسه: 10.
(2) معلقات على جدار الشجن: 12.
(3) معلقات على جدار الشجن: 7 وما يليها.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

لعل من فائض القول ومجانيته بنى من قبيل: أنها تخيف ومفترسة، وجلوس الجثة، وتكرار: تلغي الكرى، وهي قد اذاقت العيون السهاد، وتانيث لفظ فارسة، هذه كلها لا تمثل معنى سياقيا هاما، سوى كلفة القافية غير الضرورية. ومثلها فائض القافية في (الركعة السادسة).

بثنائية التناقض، يتجلى تصور العالم المؤله بالنقود، ويجسدها النظام الصوتي للنص، فيقف الجناس في صدارة البنى الصوتية الممثلة لتلك الازدواجية، وكأنه يمثل في النص مفهومه نفسه، القار في البلاغة. هذا الاتحاد والتباعد هو الذي يقوم عليه النص وبه تنتج دلالاته، فالجناس هو اتحاد في اللفظ أو في بعضه وتباعد في المعنى، ما يعني انسجامه مع حالة البناء الكلي للمضامين والمقاصد، وإن كنا سنستعين في استنتاج ذلك بوساطة استدلال إضافي لأساليب الجناس. كقوله: النقود وقود الشياطين، فالشياطين هي لفظ استدلالي أسهم في خلق التناقض، بين النقود في حال انحراف وظيفتها، وبين كونها وقودا ذا وظيفة ضارة، أي بصفتها محركا شيطانيا، وهو ما يثبت تلك الوظيفة.

تتسلسل الوحدات الصرفية للجناس على طول النص، وتتكرر هذه الوحدات، لتصبح مركبا علاماتيا بارزا، يشير إلى أن ثمة انسجاما مقصودا بين النقود، بصفتها مهيمنة دلالية مركزية، وبين بنائها الجناسي النظير، فيصبح النص في مؤداه الدلالي ممثلا أو انعكاسا للواقع في ظل هيمنة المال على العالم وخضوع الأخير لها، فكما كان الوجود في حالة انقياد كانت اللغة تمثيلا لذلك الانقياد.

النقود وقود الشياطين،
النقود عقود الوباء
إثم الوجود
النقود إله حقود
النقود دم ومهود (1)

ولا يقتصر هذا على الجناس، وإنما يشمل بنى صرفية أخرى تقوم علاقتها على التوازي مع لفظ النقود، دون أن تتكرر مع أي من أصواتها، لتشكل بناء صوتيا يصب في الانسياق أو الانجرار مع دلالة بنية النقود، ويعكس هيمنتها، كما في متوازيات النعوش، نقوش، السيوف، سيول.

غبار النعوش
نقوش على جسد الرعب
النقود دواة السيوف
سيول على كوكب الأرض (2)

يلي ذلك السين بصفته بنية سيميائية صوتية مركزية مهيمنة، ليس عبر انتظامه رَويًا للقافية في كل النص حسب، وإنما أيضا مستوى انتشاره الواسع والكثيف، داخل البنى الشعرية، وهنا لا يعنينا تعليل لماذا وهل كان بصورة متعمدة أم عفوية، أي كونه استجابة لشعور معين ودلالة خاصة؟

النقود طريق التوحش والوسوسة
كون رحيب من الخوف والذل والهلوسة (3)

يتحول العالم إلى كيان انتهازي، مسلوب الوعي إلا بما هو مادي، مهيمن عليه، محكوم بوسواس قهري لا ينفك عنه، إنه وجود من غير إرادة أمام إرادة المال وتأثيره، إلى حد يصل إلى درجة الالتياث، فلشدة ما تحاصره سلطة إغواء المال بات مصابا بالهلوسة لا يستطيع منها خلاصا. السطران السابقان، اللذان يقعان في ختام النص يلخصان حال العالم الموبوء بالنقود، ويشيران إلى طبيعة ذلك الوباء بأنه وسواس

(1) معلقات على جدار الشجن: 5 وما يليها.
(2) معلقات على جدار الشجن: 4-5.
(3) نفسه: 13، 14.

قهري لا إرادي يسلب العالم نظامه المثالي من منظور النص، وما دام الصوت المعبر عنه هو السين، فإنه يمثل معادلا يقابل هيمنة الثبات والسطوة للنقود في الاتجاه المقابل، فهل نحن أمام نظام نحو- صوتي تنتظم فيه الدلالة العامة للنص، وباعتبار أن السين مسار صوتي يقابل أصواتا أخرى مباينة؟!

النقود خسوف

النقود كسوف

نعم، فمن خلال اعتباره ثنائية تواز، يمثل مسار السين ذلك المعادل، لكنا لا يمكن أن نحصره في التعبير عن اتجاه واحد، فهو يمثل أيضا سلطة المال المهيمنة وسطوتها، مثلما يمثل حال العالم المسلوب أمامها، فللنقود حركة وصوت يوسوس على مستوى الفاعل والفعل المؤثر والوظيفة التأثيرية، وتعني العرض المرضي في المفاعيل، الفرد، الجماعة الانسانية، النظم المؤسسية.

وتَسوس

تسوس

تسوس كما تشتهي العملة السائسة

النقود أساس البلى

ويح من أسسه

والنقود انفراج الأسارير في الأوجه العابسة

عسعس الليل

والصبح أنفاسه قارسة (1)

مجاز قلب العالم:

يمكن أن نتحرى عملية التحويل للمضامين، من حيث السطح والعمق في نظام الإسناد المركب للمجاز، وجله استعاري، إذ يمثل هذا الإسناد نظام المعنى، وفق خيارات الاستبدال التي مورست ومنحتنا الوقوف في موازاة مع العالم، بصفته الحقيقية الواقعية. الاستعارة في حدها اللغوي الأدنى لا تخلو من أن تكون اسما أو فعلا، فعلى الاسم يمارس النقل ليتناول شيئا معلوما ثابتا يدل عليه.. أو أن يؤخذ عن حقيقته ويوضع موضعا لا يبين شيء فيه يشار إليه، فيقال هذا هو المراد بالاسم"(2)، بهذا التعريف ينظر إلى الاستعارة بوصفها علامة ذات بعدين: علامة وضعية لمفهوم، تستهدف الشرح والتفسير، وعلامة نظمية قولية متولدة في حدود ذلك المفهوم ونفترض لها مصطلح (علامة مقترحة) لتمثيل منظور ما أو تعديله أو حتى تبديله ونقضه بغرض إقامة رؤية جديدة حول الذات والعالم على سبيل الادعاء لا الحقيقة.

بالاستعارة يتولد مفهوم العالم بصفته علامة وجودية اجتماعية، مثلها النص واستحضرتها اللغة. في تلك العلامة يتجلى وجودنا المزعوم أو المدعى به، فثمة مفاهيم مسبقة وتصورات قارة لكينونة الأشياء، لكنا قد نستعمل اللغة ببعدها البلاغي والرمزي، لإثبات أنها ليست كذلك، وأن معانيها قابلة لوضعيات أخرى مختلفة ومتباينة، ولكي نقيم هذه الوضعيات، كان لا بد من نقض كينونة العالم الراهن، وبدءا من يقينياته ومقدساته، فاستعار لها ما يحرف مفاهيمها، استعدادا لتحريف مفهوم الوجود الإنساني، المحكوم بها.

النقود إله حقود

تبارك بالزيف والبطش والغطرسة

النقود وقود الشياطين

(1) معلقات على جدار الشجن: 10.
(2) أسرار البلاغة: 34.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

ما استنبتَ الشر في الطين

النقود نبي كذوب (1)

تعد الاستعارة أهم النظم التركيبية توليدا للمعنى، "لأن اللغة بطبيعتها استعارية، إذ تؤسس آليتها النشاط اللغوي وكل مواضعة لاحقة تولد بقصد الثراء الاستعاري.. وأن اللغة وكل نظام سيميائي آلية تقوم على المواضعة وعلى قواعد، فهي آلية تقديرية تحدد ما يمكن إنشاؤه من جمل وما لا يمكن من ذلك، كما يمكن أن تحدد ما يمكن اعتباره من بين الجمل صحيحا أو حسنا أو محملا بمعنى"(2).

ولتحليل سيميوطيقا الاستعارة ببعدها النظمي النصي، (النقود) لابد أن نفترض حقيقة عالمنا المنصاع للمادة بين زعمين نقيضين: الأول يراه مثاليا إيجابيا، وينبغي أن يبقى كذلك أبدا ويمثل هذه الرؤية، أيديولوجيا النظام الرأسمالي، بأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، في حين يرى الزعم الثاني نقيض رؤية الأول، ويمثله النص، فالعالم في ظل نظام راس المال في حالة اختلال وتناقض وهيمنة سياسية وتطبيع طبقي، واستغلال الإنسان للإنسان، والطرف المعني بهذا التصور هو النص، على سبيل الادعاء، مستعيرا صورة يتم بها استبدال مفهوم العالم، على النقيض مما يبدو عليه في الظاهر، أو من منظور سطحي.

يقوم النحو الاستبدالي للاستعارة النصية على مستويين: أكبر أو كلي، وهو هنا يمثله لفظ النقود، في ظل نقل معناه التقليدي في علم الاقتصاد والنظام المصرفي، بوصفه عملة تمثل قيما سلعية وإنتاجية إلى معان لمراكز قوى منها الثروة راس المال الإقطاع، أي أنه انتقال من كونه يمثل وسيلة ميسرة للتعامل الاقتصادي إلى مركب رمزي علاماتي للاحتكار والاستغلال والاستبداد والتسلط والقتل، لأن من "ضروب الاستعارة أن يرى معنى اللفظ المستعار موجودا في المستعار له من حيث عموم جنسه على الحقيقة"(3). عمومية جنس اللفظ هذه في التدليل إذا، هي مبدأ في الاختيار، يمكن أن نبني عليه تعليل أهمية لفظ النقود تحديدا للدلالة على السلطة والسطوة، فهو علامة وضعية عرفية أكثر شهرة وشمولية وممارسة تداولية من غيره من الألفاظ المعبرة عن الملكية.

في حين يمثل المستوى الثاني: إسناده التركيبي الذي يتولد عنه حقائق متسلسلة تمثل بمجموعها مفهوم العالم من منظور النص، مفهوم يتولد من الجمع بين تناقضين: الإباحة والسَّنن النظامي والتنظيمي للنقود تفضي إلى القبول، ثم الإنكار والعدمية، يفضي إلى الرفض البات، حسنا هل تقف رؤية النص ومقاصده عند حد الرفض، وما الجدوى والأمر هنا لا يتعدى هجاء العالم؟ أم إن ثمة عالما نريده، ونتغيى إقامته ليكون بديلا منشودا؟ ففي حال وقفنا عند حد هجاء العالم - وهو الطابع الغالب على نص (النقود إله حقود) - نكون أمام حقائق يعلمها القاصي والداني من الناس، حتى وإن اختلفوا نسبيا حولها، بحسب الاختلاف الأيديولوجي والثقافي والاقتصادي، وفي حال استبطنا مقاصد مضمرة عميقة، نكون أمام نص استشرافي يتجاوز النهايات المغلقة إلى التبشير ببدء القادم المأمول.

يبدأ تحريف المقدس بوساطة علاماتياته الاستعارية الكبرى المهيمنة على الوجود والوعي: الألوهية موصوفة بالحقد، والوسواس الشيطاني في حال فعل النزغ، يغوي البشر ويزرع الشر، ثم النبوة الموصوفة أيضا بالكذب. وما يُلحظ وهو الغالب في النص أن نحوية النسق الاستعاري تقوم بين إسناد المبتدا والخبر إسناد الأول إلى الثاني، لكنها قد لا تقف عند ذلك، بل تتجاوزه إلى مفصل إسنادي آخر، هو النعت، وهو أيضا مركب استعاري غالب في النص، وقد لا تتضح الدلالة بدون وضعه في الاعتبار.

(1) معلقات على جدار الشجن: 6.
(2) السيميائية وفلسفة اللغة: 235.
(3) أسرار البلاغة: 41.

(النقود إله) قد لا تحقق دلاليا سوى الاعتراف بربوبيتها، لكن المركب الاستعاري في النعت هو ما يوجه الدلالة نحو تحريف مثالية الإله أيا كان ويفرغها من مضمونها الروحي النقي ليتصف بالحقد والضغينة، هكذا يتدرج النظم الاستعاري من الإيجاب (إله) إلى السلب (حقود)، ومثله النبي من إيجابية الصدق إلى سلبية الكذب، وكذلك لا يتحقق مقصد تحريف مثالية النقود بلفظ وقود سوى الحركة، لكن ما يسلب تلك الحركة إيجابيتها ويضعها دليلا يشير لاستلاب الإرادة الإنسانية أمام سلطة المال، بحيث تتحول الى وسواس مرضي، هو الإضافة (وقود الشياطين).

ينظر سيميوطيقيا إلى البدء بالمقدس على أن المستهدف بذلك هو الوعي الإنساني، بوصف علامات المقدس من أهم متلازماته الأخطر والأكثر تأثيرا وحسما خلال تاريخه الطويل، الوعي الإنساني مرحلة من مراحل تطور العقل، في حين يمثل الإيمان والاعتقاد مستوى أو محطة من محطات التفكير لهذا العقل. إن التلويح ببدائل عقدية لتحل محل رموز عقدية عليا هو مهاجمة ومداهمة للوعي الراهن الذي يدين بتلك البدائل ويمارس طقوس سقوطه المريع في براثن المادة، ما يعني إدانة الوعي الإنساني في الحاضر وتوبيخه، وإحداث ما يمكن أن يسمى صدمة، فهل القصد تفويق العقل وإيقاظ الشعور الفردي والجمعي لفك الارتباط بطاعة المال وعبادته، ومن ثم مغادرة وضعية الرضوخ والاستلاب الحالية؟

وإذا كانت علاماتية المقدس تلك مستلة في الغالب من خصوصية وعي غيبي، فإن النص يتعقب انحراف الوعي بعلاماتية أكثر حقيقة وواقعية، من داخل المنظومة التعليمية المعرفية، تحل المدرسة والمناهج والتعليم لتمثل تلك العلاماتية وليتجلى عنها مقصد تحرير الوعي أو تدجينه، إنها اخطر الفواعل في التنشئة، وقد استعارها النص لتكون، إما وسيلة لوعي قيمي اخلاقي، وإما لانحطاط وتَردِ نقيض، وهو ما تكشف عنه سلسلة النسق الاستعاري.

النقود اصطدام عنيف
تكدس في كتب المدرسة
والنقود تهندس دائرة الجور في علبة الهندسة
النقود ابتكار الجباة
النقود اختراع الردى
اليقين المسيج بالشك
فلسفة الجهلاء (1)

يلي ما سبق، علاقات مهيمنة خلل النظام الكوني الوجودي، عبر سلسلة بنى استعارية استبدالية تنسجم مع النظام النحوي العام للنص. تكشف هذه البنى عن أدلة هيمنة تستهدف تعطيل النظام الكوني والوجودي، واختلال نواميسه الثابتة القارة ازليا، بهذه الاستبدالات، ربما نلحظ تحولا من وجود آثم معتل إلى وجود مضمر منزه من الإثم صحيح من الأسقام والعلل.

النقود:
إثمُ الوجود
صدى النّار
شوكُ البساتين
دُود الحياة
ووزرٌ تكدس في الكون

(1) معلقات على جدار الشجن: 6، 11.

سرَ التطاحن والأبلسة
شارة
عَطلٌ في تروس البقاء
سماء ملوثة بالأنين
ضحايا تموت بغاب الوجود
النقود خسوف
النقود كسوف
كون من الذل والخوف والهلوسة (1)

يليها علاقات مهيمنة الاعتلال الوجداني والنفسي، وعبرها يتم الاستبدال عبر استعارات تمثل هذا البعد، وتصب مدلولاتها في توكيد دلالة الهيمنة وفي مقابلها الخواء الوجداني والاستلاب القيمي للعالم المحكوم بألوهية المال الرازح تحت وطأة قطبه المركزي، راس المال، الذي يحكم الأفراد والمجتمعات والدول وأنظمتها السياسية، إن اعتلال الوجدان والمنظومة القيمية الإنسانية يتحول استعاريا الى آفة تصيب العالم وتفضي به إلى الانهيار، وفي المقابل تؤكد رسوخ الوحشية والتغول وسيادة الشر والظلم والحرب والتفاوت الطبقي، وما لا يحصى من كوارث، تحيق بالإنسان وتهدد وجوده كما يحدث الان.

النقود..
مقبرةُ الحُب
أسلحةٌ وجنودٌ يذودون كي يفلح الموتُ في المَترسة
سَماد الغَباء
سراج الضغينة
سجن المدينة
مانعةٌ وسدودٌ وحشرجةُ اللحظة الهامسة
النقود نقيض الحياة
رديف الممات
عدو المحبة
يا للذهول
لقد صمت الحب
من أخرسَه؟ (2)

يليها هيمنة تطبيع النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهي هيمنة تعني تعطيل الصراع من أجل الإنسان، وتحويل أسبابه وأدواته إلى حرب مسلطة ومدارة من أعلى لأجل المال وسلطة المركز وواحديته، وتكييف القوى الاجتماعية والسياسية على قبول الخطأ والايمان بالفاسد من الأفكار والنظم ومن ذلك تطبيع الاستبداد والاستغلال والاحتكار والتفاوت الطبقي، باختصار: التكيف مع التوحش عامة

يَشتري ويَبيعُ الزمانْ
ويبقى المكانُ على رسْلِه الطّبقي قيودا
على مِعصم النَّشوة البائسة (3)

(1) نفسه: 14.
(2) معلقات على جدار الشجن: 5 وما يليها.
(3) نفسه: 10.

التناص: دنانير وصلبان

يعطينا التناص المُنسَج بمضمر مقولي مدخلا للرؤية العامة للنص التي تقوم على استبدال حقيقة العالم، فكثيرا ما قامت دلالة السخرية، ممن يدينون بالدينار والدرهم، ولنر ذلك في بيت المتنبي (1):

وغِناك مسألةٌ وطيشُك نفخةٌ ورضاك فيشلةٌ وربُّك درهمُ

وقد تقول في حديثك اليومي: فلان ربه الفلوس وفلان دينه ومذهبه المال، وسوى ذلك مما وازى بين الجشع والوعي بربوبية المال والثروة، وثمة نصوص كثيرة تشير إلى مركزية المال وهيمنة مالكه.

يمثل الملفوظ التناصي شكلا علاماتيا مقترحا تمثله مقولاته التي تستند إلى الوعي والإدراك كالاقتباس والتضمين وتناص قناع الشخوص والأمكنة، وما عدا ذلك من التواردات فنُسَيجات نظمية تنظم انتقالات المعنى وتحولاته. التناص نظام إسنادي يمثل مفهوم مقولة سابقة لا مفهوم شيء وجودي، وتنسيجها بإحدى طرائقه لتمثيل دلالة راهنة، وهو نظام تحويلي لمقول سابق في النص اللاحق، وأبدعه ما اعتمد القلب لما كان، ليكون نتاجه معاني متحولة، تستهدف تغيير تصورنا لـ وعن العالم، كما في تحويل قيمة الزهد بالمال في قوله: (وما المال والأهلون إلا ودائع إلى غريزة جشع فيه بنص (النقود إله حقود).

لقد غلب التناص الخفي ولم يحفل به النص على غرار بعض نصوص الشعر المعاصر، نسيجات علاماتية جزئية، كأن يكون مثالا تلميحيا لقلب مفهوم إله الوجود والناس إلى إله بشري، هو مالك الثروة والمال، ومثله تناص وقائع النبوات الكاذبة، أو كتناص ظواهر كونية (الخسوف والكسوف)، بجامع ما وقر عنها في الوعي الجمعي، من أنها نذير شؤم وشر، أو التناص من قبيل المماثلة بالشاهد، كالاستشهاد يقل نسق التناص الصريح، لكنه تبعا لما سبقه من أنساق يمثل علامة كبرى تتدرج إلى بنى صغرى والعلامة المقولية التناصية منعدمة، غير بنى تنسجت تلميحا أو تمثيلا أو استشهادا وأكدت الدلالة نفسها.

كانت النقود هي الأمثولة الوجودية التي بنى بها النص تمثيل حقيقة المال وسلطان الثروة والنفوذ، واتخذها علامة على حقيقة عوج الإنسانية ومدى تفاهتها أمام المال، وقد كشف خطاب العتبات وسمات النوع الشعري والبياض والكتابة عن تحولها إلى علامة رمزية للتعبير عن مهيمنة قاهرة شريرة بمركبها العلاماتي مع الألوهية، ثم تسلسلها لتمتد بمثابة إشارة نصية مركزية، تمثل مضمون العالم المحكوم بتلك الهيمنة، وتشخص واقع التناقض فيه، وتقف عند ذلك بالقياس إلى عالم مضمر نقيض وبديل، وهو ما يكشف عن انعكاس لسمات الواقعية النقدية التي تصف سلبيات العالم تقريرا وتضعنا بين خيارين: الموازة والانسجام، أو المخالفة والتناقض.

أثبتت صورة تنسيج النص رؤية للعالم مطابقة أو نظيرة لواقع هيمنة راس المال الذي يحكم البشرية الآن، وكشف نظامها السيميوطيقي عن تحريف بنى تنسيج المضامين، ليتناغم مع مثال العالم في النص، كتكرار علامة النقود على طول النص دليلا على موضوعة الهيمنة وخلو الجمل الشعرية من الرابط المتعارف عليه بالضم، تمثيلا لانسياق القطيع البشري وتجسيد حالة التفكك الوجداني والانسلاخ القيمي للجماعة الإنسانية المحكومة بسلطة المال، في حين كانت سيادة الاسمية دليلا على تمثيل سلبية الوجود والفعلية في تمثيل إيجابية سلطة المال، ومقابله استلاب الإنسانية، وتوكيد هيمنة راس المال الذي يحكمنا الآن، واحتكار حرية الحركة لسلطته المطلقة.

في التنسيج البنائي الصوتي، كان للوقفات العروضية دلالتها في تمثيل سلسلة حقائق مقررة، ودلالة على استقلاليتها، ولإيقاع (فأعلن) السريع تمثيله للهاث العالم وراء المال، وهو كذلك ما أكده المركب

(3) شرح ديوان المتنبي: 1254.

ISSN: 2664-5831(print), 2664-584X(online)

العلاماتي للسين، بصفته مقابلا ثنائيا، يعكس مثال تحول سلطة المال إلى غواية مرضية، هلوسة ووسواس قهري مزمن.

تقف علاقات المركب الاستعاري في صدارة البنيات تحويلا للمعنى وتوليدا لمهيمنات: اعتلال الذات الفردية والجمعية، واختلال الوجود مكانا وزمانا وفساد المنظومة الاجتماعية والسياسية، ومعها انهيار المنظومة القيمية. في سيميوطيقا الاستعارة بمستواها الكلي يجري توليد تناقض العالم، بتنسيج المركب الاستعاري من ثنائيات ضدية، تتراوح بين المثالي والسلبي، وكأنما العلامة الاستعارية المركبة تحمل مفهوما للشيء ونقيضه، أي تمثل تصور عالم المال مثاليا ثم ما تلبث أن تسلبه تلك المثالية، وهو ما يكشف عن دلالة يتجلى فيها وجودا صريحا وحشيا قاتلا مفككا محكوما بالتفاوت الاجتماعي، وإلغاء جوهر الصراع والتطبيع الطبقي، وفي المقابل العالم المضمر المأمول فيه أن يكون مثالا عكسيا نقيضا لكل ذلك، ومثل ذلك ما يمثله التناص.

المصادر والمراجع

1. ديوان معلقات على جدار الشجن. عبدالحكيم الفقيه. دار عناوين. القاهرة 2023
2. أسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق محمد رشيد رضا. د ط. دار المطبوعات العربية. القاهرة. د ت.
3. أسس السيميائية. دانيال تشاندلر. ترجمة: طلال وهبة. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت 2008
4. البنى النحوية. نوم جومسكي. ترجمة: يوئيل يوسف عزيز. ط1. دار آفاق عربية. 1987
5. تفكرات سيميائية. قاسم المقداد. دار نور الصباح. دمشق. 2014
6. السيميائيات أو نظرية العلامات. جيرارد دو لودال. ترجمة: عبد الرحمن ابو علي. ط 1دار الحوار. اللاذقية. 2004
7. السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها. سعيد بنكراد. ط 2دار الحوار اللاذقية. 2012
8. السيميائية وفلسفة اللغة. امبرتو ايكو. ترجمة احمد الصمعي. ط1 المنظمة العربية للترجمة بيروت. 2005
9. شرح ديوان المتنبي. عبدالرحمن البرقوقي. ط 1مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة. القاهرة 2012
10. علم اللغة العام. فرديناند دي سور. ترجمة: يوئيل يوسف عزيز. دار آفاق عربية. بغداد. 1985
11. عناصر لتحليل الخطاب. جورج إليا صرفاتي. ترجمة: محمد ساري. ط 1دار التنوير الجزائر 2012
12. المنهج السيميائي. ا. ج كريماص، ج كورتيس وآخرون. ترجمة: عبدالحميد بورايو. دار التنوير. الجزائر. ط1 2013